المؤرخ مولاي بلحميسي وجهوده في كتابة تاريخ الجزائر الحديث

د/ بوطبة لخضر

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر–جامعة محمد لمين دباغين –سطيف 2–

boutebalakhdar@yahoo.fr

ملخص:

يعتبر المؤرخ والباحث الأستاذ **مولاي بلحميسي** أحد أبرز هؤلاء المؤرخين الذين تفخر بهم الجزائر من خلال مساهماته الكثيرة في التأريخ الوطني ونظرا للدور الكبير الذي لعبه هذا المؤرخ الفذ في التأريخ للفترة العثمانية على وجه الخصوص، ارتأينا أن نسلط الضوء على جهوده في الكتابة التاريخية، والتعريف به وبإسهاماته، وبمنهجه في البحث التاريخي، وما الذي أضافه للمكتبة التاريخية الجزائرية والعربية، وهل يمكن اعتباره فرناند برودل Fernand Braudel الجزائر نظرا لاشتغاله كثيرا بالمجال البحري للجزائر خلال العهد العثماني، وكل ما له صلة به من الأسر والغنائم والحرب المقدسة بين المسلمين والمسيحيين فهل وضع لمسات للمدرسة التاريخية الزطنية وما هي تمثلاتها؟.

كلمات مفتاحية بلحميسي عزو بحري قرصنة مدرسة تاريخية

Summary:
Historian and scholar Professor Moulay Belhamisi is one of the most prominent historians that Algeria is proud of through his many contributions to national history and given the great role played by this outstanding historian in the history of the Ottoman period in particular. We felt that we should highlight his efforts in historical writing, his publicity and his contributions. and his approach to historical research, and what he added to the Algerian and Arab historical library and could it be considered as Fernand Braudel Algeria because of his considerable involvement in Algeria's maritime sphere during the Ottoman era, All the related families, spoils and holy war between Muslims and Christians have been touched by the historical school of algeria and what are its statues؟
Keywords Belhamisi Ezzo Maritime Piracy Historical School

مقدمة:

تعتبر الفترة العثمانية مرحلة حاسمة ومفصلية من تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، وفي السنوات الأولى التي أعقبت الاحتلال الفرنسي للجزائر، اهتمت فرنسا بالدراسات التاريخية والاجتماعية والأنثروبولوجية، بغية التعرف أكثر على المجتمع الجزائري لأغراض استعمارية توسعية، فشجعت المؤرخين الهواة على البحث والتنقيب على الآثار والمخطوطات وكل ما يسمح لهم الكتابة والبحث، فكللت جهودهم بتأليف عدد هائل من الكتابات والدراسات كان أبطالها مترجمو الجيش الفرنسي، ورؤساء المكاتب العربية، كما أسس الاستعمار الفرنسي الجمعيات التاريخية

والأثرية، والمجلات، وظهرت الآلاف من الكتابات والدراسات والمقالات، التي كان غرضها الأساسي خدمة الفكرة الاستعمارية.[1] ولم يقف العلماء الجزائريين بطبيعة الحال مكتوفي الأيدي أمام ما يحاك ضد هويتهم وتاريخهم، فانبروا للدفاع عن هذه الهوية والشخصية عن طريق الرد على مزاعم هؤلاء، ودحض ادعاءاتهم، وتفنيد أكاذيبهم، وكشف نواياهم السيئة. يعتبر المؤرخ والباحث الأستاذ **مولاي بلحميسي** أحد أبرز هؤلاء المؤرخين الذين تفخر بهم الجزائر من خلال مساهماته الكثيرة في التأريخ للفترة المذكورة. ونظرا للدور الكبير الذي لعبه هذا المؤرخ الفذ في التأريخ للفترة العثمانية على وجه الخصوص، ارتأينا أن نسلط الضوء على جهوده في الكتابة التاريخية، والتعريف به وبإسهاماته، وبمنهجه في البحث التاريخي، وما الذي أضافه للمكتبة التاريخية الجزائرية والعربية، وهل يمكن اعتباره فرناند برودل Fernand Braudel [2] الجزائر نظرا لاشتغاله كثيرا بالمجال البحري للجزائر خلال العهد العثماني، وكل ما له صلة به من الأسر والغنائم والحرب المقدسة بين المسلمين والمسيحيين؟.

وسوف نتناول في هذه المداخلة ثلاثة عناصر أساسية.

1-التعريف بالمؤرخ:

2- مؤلفاته:

3-منهجه في الكتابة التاريخية:

1-التعريف بالمؤرخ:

ولد مولاي بلحميسي في 17 يناير1930 بمنطقة مازونة[3]، بين الحربين العالميتين، لكنه لم يكن مقدرًا له أن يقضي حياته في مدينته الصغيرة الأصلية، رغم أنها مليئة بالتاريخ. كانت مازونة، وهي بلدة صغيرة بالقرب من مستغانم، مركزًا مهمًا للتعليم، قبل قرون من الغزو الفرنسي، كانت الشريعة الإسلامية فرعًا تميز به علماء مازونة بشكل خاص. قام علماء مسلمون بارزون بالتدريس هناك، بما في ذلك الشيخ أبو راس الناصري الرشيدي. سيخصص الحاج مولاي بلحميسي، فخورا بهذا الماضي، كتابًا لبلدته الأصلية عام 1981[4].

ينتمي المؤرخ مولاي بلحيمسي إلى الجيل الثاني في المدرسة التاريخية الوطنية المعاصرين ، فإذا كان الجيل الأول من هذه المدرسة أمثال عبد الرحمان الجيلالي [5]ومبارك الميلي [1]وأحمد توفيق[2] المدني وعلي دبوز[3] وغيرهم، قد انشغلوا

---

[1] تناول المؤرخون الجزائريون هذه الفكرة بالبحث والدراسة، ونبهوا إلى مخاطرها وكشفوا نوايا الحقيقية لهؤلاء الكتاب، ولعل خير من وضع يده على الجرح نذكر الأستاذ أبو القاسم يعد الله في الكثير من كتاباته، كأبحاث وآراء في تاريخ الجزائر المعاصر، وتاريخ الجزائر الثقافي، وكذا الأستاذ ناصر الدين سعيدوني في كتبه الكثيرة ككتاب ورقات جزائرية، وكتاب دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديثة والمعاصرة، وغيرها.

[2] هو باحث ومؤرخ فرنسي متخصص في الكتابة حول البحرية، ألف العديد من الكتابات ونشر العديد من الدراسات في مجلات متخصصة، اشتغل كثيرا على نشاط البحرية في البحر الأبيض المتوسط.

[3] كانت مازونة التابعة الآن لولاية غيليزان قبل وأثناء العهد العثماني مركز إشعاع علمي وحضاري، وتشتهر بعلمائها في العلوم الدينية خاصة، كانت عاصمة بايلك الغرب قبل نقلها إلى معسكر ثم إلى وهران بعد تحريرها نهائيا من الاحتلال الإسباني سنة 1992.

[4] Abdelkader Boutaleb: El Hadj Moulay Belhamissi (1930-2009), El Hadj Moulay Belhamissi (1930-2009) – الهوقار | Hoggar. 1/10/2009, p1.

[5] مبارك الميلي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، ط2، الجزائر، 1963م.

بتحقيق مهمّة إثبات انتماء الجزائر إلى الحضارة العربية الإسلامية، عكس أطروحة الاستعمار الفرنسي المروجة لفكرة انتماء الجزائر إلى الحضارة الأوربية المسيحية منذ فترة الاحتلال الروماني، فإن مولاي بلحميسي ينتمي إلى الجيل الثاني الذي لم يعد ينهج نفس المنهج بسبب تفوق الثورة الجزائرية ودحضها لهذه الأطروحة . فالجيل الثاني سلك مسلكا مغايرا تماما للمنهج الذي سلكه هؤلاء، حيث كان يعتمد على المنهج العلمي الدقيق الذي يعتمد على الحجة الدامغة والدليل القاطع، وذلك من خلال الإقبال على الدراسات المتنوعة، والوثائق المختلفة بلغات كثيرة والتي تتناول تاريخ الجزائر لا سيما الفترة الحديثة التي اختص فيها مؤرخنا، والتي تتواجد في مختلف المراكز الأرشيفية في العالم.[4]

كان الطفل مولاي بلحميسي من القلائل الذين أتيحت لهم فرصة مواصلة الدراسة،[5] فانتقل إلى تلمسان، على غرار الطلاب المسلمين آنذاك تلقى تعليمه الأولي في المدرسة الدينية في تلمسان حيث حصل على إجازته (شهادة تسمح لحاملها بالتدريس) عام 1952. وكان يمكن أن يكتفي بهذا الإنجاز، لكن هذا سيكون سوء فهم لشخصية الشاب مولاي المقاتل. لذلك، استأنف طريقه للحج إلى الجزائر حيث التحق بجامعة الجزائر أين حصل على إجازة أخرى عام 1954، وذلك عشية حرب التحرير[6]. من عام 1955 فصاعدا، توجه بشكل طبيعي نحو التدريس. حيث سيقضي أكثر من عقد في التعليم الثانوي، قبل أن يرتقي في الرتب الجامعية ويصل أخيرًا إلى رتبة أستاذ.

في عام 1958م حصل على شهادة الليسانس في الآداب من جامعة الجزائر.[7]

وحصل على شهادة دكتوراه درجة ثالثة في الأدب من جامعة آكس أون بروفانس [1]الفرنسية عام 1963، وكذا على شهادة الكفاءة المهنية للتعليم الثانوي، ومبرز في الأدب العربي سنة 1966، كما حاز على شهادة الدكتوراه سنة 1972، وحصل على شهادة دكتوراه دولة من جامعة بوردو الفرنسية سنة 1986.[2]

---

[1] الجيلالي، عبد الرحمان: تاريخ الجزائر العام، ج3، ط7، د م ج، الجزائر، 1994.

[2] المدني، أحمد توفيق: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (1492-1792)، ش و ن ت، الجزائر، 1976.

المدني، أحمد توفيق: عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791، م.و.ك، الجزائر، 1986.

المدني، أحمد توفيق: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، 1168-1246هـ، 1754-1830.

[3] محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، 3أجزاء.

[4] تزخر المراكز الأرشيفية في العالم برصيد هام من الوثائق والمخطوطات المتعلقة بتاريخ الجزائر العثماني، منها الأرشيف العثماني الذي لا يزال غير مدروس دراسة وافية بسبب عائق اللغة، والأرشيفات الفرنسية التي تنتظر جهدا مضنيا من الباحثين الجزائيين، والإطلاع على محتويات هذه الأرشيفات يتطلب في اعتقادنا جهدا جماعيا وليس فرديا.

[5] كان التعليم خلال العهد الاستعماري صعب المنال بسبب التضييق الذي كانت تمارسه السلطات الاحتلال عليه، من فرض شروط تعجيزية على التلاميذ الجزائيين، حيث سن الاستعمار قوانين مجحفة لا تتيح لهم مواصلة الدراسة فضلا على الواقع المعاش المزري الذي لا يسمح لمعظم التلاميذ بمزاولة تعليمهم. وقد نال هذا الموضوع حظا وافرا من الدراسات والأبحاث.

[6] لا توجد لدينا معلومات حول نشاط مولاي بلحميسي إبان الثورة التحريرية الكبرى، بسبب شح الدراسات التي تتبعت مسار الرجل.

[7] تأسست هذه الجامعة سنة 1909 وكان نصيب الطلبة الجزائريين في مقاعدها ضئيل جدا.

وفي مقابلة مع صحيفة جزائرية، يتذكر المؤرخ مولاي بلحميسي بداياته في الجزائر العاصمة حيث يقول:
"عام 1955 أثر في بعمق، لأنه عام تعييني الأول في مسيد فاتح في القصبة، تلاه عام 1957 في المدرسة liceo الفرنسية الإسلامية Ecole franco musulman d'El Biar كمساعد تدريس، ثم أستاذ بعد أن نجحت في اجتياز امتحان الترسيم CAPES."[3]

ومع ذلك، كانت الجزائر المستقلة الجديدة بحاجة إلى إطارات، وكان الحاج مولاي بلحميسي قد عين مفتشًا أكاديميًا في ولاية المدية عام 1966. ولم يتوقف عند هذا الحد، حيث اجتاز بنجاح مسابقة التوظيف في اللغة العربية. ثم فتحت كلية الآداب في الجزائر، حيث تم إنشاء قسم التاريخ باللغة العربية، أبوابه أمام هذا العنصر اللامع والطموح. «هناك ما يقول: بدأت مهنة ثانية بقيت وفيا لها حتى تقاعدي في عام 2001."[4]

يجب الإشارة إلى أن الحاج مولاي بلحميسي كان موسوعيًا، أي أنه لم يكن مؤرخًا فحسب، بل كان أيضًا أديبًا ولغويًا. نشر هذا الباحث المتمرس، في نهاية أبحاثه، العديد من الأعمال ذات قيمة لا شك فيها.

2- مؤلفاته:

أولا الكتب باللغتين العربية والفرنسية:

على الرغم من غلبة اللغة الفرنسية على كتابات مولاي بلحميسي نظرا لطبيعة تكوينه على غرار بقية الأساتذة والكتاب من أقرانه، إلا أن له مساهمات باللغة العربية التي يكتب لها بأسلوب راقي رفيع.

لقد كُللت حياة الفقيد مولاي بلحميسي المليئة بالنشاط والحيوية برصيد هائل من المؤلفات باللغتين العربية والفرنسية، سنحاول رصدها في هذه المداخلة:

-الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني (1979).

-العرب والبحر في التاريخ والأدب، منشوراتANEP، 2005م.

-الأسطول البحري الجزائري (1516-1830).

-Edition critique des Ghazawat de' Arrudj wa Khayreddine. (Thèse de 3éme cycle) Aix, 1972.[5]

---

[1] كانت جامعة أكس أون بروفانسAix-en-Provence ولا تزال قبلة للطلبة الجزائريين الباحثين، لاسيما في تخصص التاريخ والدراسات الأنثروبولوجيا، وقد تخرج منها عدد كبير من الأساتذة والعلماء الجزائريين، وعلاوة على مركز أرشيف ماوراء البحر Outre-Mer الذي يزخر برصيد هائل من الوثائق والمخطوطات المتعلقة بتاريخ الجزائر، يوجد بها معهد البحوث والدراسات حول العالم العربي والإسلامي IREMAM.

[2]Moulay Belhamissi: les Captifs algériens et l'Europe chrétienne, ENAL, Alger, 1988, couverture.

[3] Abdelkader Boutaleb : El Hadj Moulay Belhamissi (1930-2009) – الهوقار | Hoggar,11 octobre 2009.

[4] Abdelkader Boutaleb : Op, cit, p5.

[5]هذ ا الكتاب هو أطروحة نال بها المؤرخ درجة الدكتوراه الحلقة الثالثة من أكس أون بروفانس.

-Marine et marins d'Alger à l'époque Ottomane 1516-1830 (Thèse d'état) Bordeaux III, 1986.[1]
- Histoire de Mazouna des origines à nos jours. SNED, Alger , 1981.
- Histoire de Mostaganem des origines à nos jours. (1982)
- Histoire de la Marine algérienne, ENAL, Alger, 1986.
- les Captifs algériens et l'Europe chrétienne, ENAL, Alger, 1988.[2]
- Alger, la ville aux mille canons, ENAL, Alger, (1990).
- Histoire d'Alger par ses eaux. (1990).
- Lectures algéroises (séries d'articles sur la capitale).
- Alger, l'Europe et la guerre secrète(1518-1830) , édition Dahleb, Alger, 1995.

-ثانيا المقالات باللغة العربية.

ساهم المؤرخ مولاي بلحميسي في نشر عدد كبير من المقالات الأكاديمية الجادة باللغتين العربية والفرنسية، في مجلات وطنية متنوعة نذكر منها:

- الجزائر وقضية القرصنة، مجلة تاريخ وحضارة المغرب. عدد4 ،1968.[3]

-المؤرخ الجزائري: التنسي، مجلة تاريخ وحضارة المغرب. عدد5 ،1968.

-غارة شارلكان على مدينة الجزائر)5115(بين المصادر الإسلامية و المسيحية. مجلة الأصالة، العدد ع 8، ماي - جوان 1972م.

-المؤرخون الفرنسيون والجزائر في العصر العثماني، مجلة الأصالة، ع 14-15، 1973.

-تحرير وهران ، مجلة تاريخ وحضارة المغرب. عدد2 ،1970 .

---

[1] يعتبر من أهم مؤلفات مولاي بلحميسي، وهو في الأصل أطروحة نال بها شهادة دكتوراه دولة سنة 1986م. طبعته المكتبة الوطنية الجزائرية سنة 1996 بعنوان:

Marine et Marins d'Alger(1518-1830) , T1 les Navires et des Hommes(1518-1830)

Marine et Marins d'Alger, (1518-1830)T2 , Face à l'Europe.

Marine et Marins d'Alger, (1518-1830)T3, Grandeur et Décadence.

[2] في هذا الكتاب كشف مولاي بلحميسي الستار عن مصير الأسرى الجزائريين الذين كانوا يقبعون في سجون أوروبا في ظروف مزرية، وسلط الضوء على هذه الفئة المهمشة والمغيبة، كما أبرز أن الدولة كانت حريصة على استرداد هؤلاء الأسرى من خلال التبادل، كما بين أن الحكام الجزائريين كانوا يحثون الحكومات الأوروبية على حسن معاملتهم كما تفعل هي بالأسرى المسيحيين. ويضم الكتاب وثائق مهمة تخص الموضوع (أكثر من 30 وثيقة)، كما يحتوي الكتاب أيضا على مجموعة هائلة من المصادر والمراجع التي اعتمد عليها المؤلف.

[3] بوعزة بوضرساية:من الجهاد البحري في كتابات المؤرخ الجزائري الدكتور مولاي بلحميسي، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، مج 1، عدد 2، جانفي، 2020، ص 76.

-مدينة ورقلة من خلال الرحالة المغربي العياشي، مجلة تاريخ وحضارة المغرب. عدد 9 ،1970.

- العلاقات الجزائرية الإسبانية: معاهدة السلم سنة . مجلة تاريخ وحضارة المغرب .عدد11 ،1974 .

- الثورات المحلية ضد الإدارة التركية من خلال وثائق إسبانية غير منشورة. مجلة الثقافة. عدد84. 1979 [1]

-معركة الزلاقة 1086م وتداعياتها. مجلة الجندي، عدد 37، 1980.

-الحروب الصليبية ضد المغرب والمقاومة الشعبية. مجلة الجندي، عدد 37، 1980.

-شرطة الجزائر في العهد التركي. مجلة الشرطة. عدد19، 1981

-السياسة الضريبية في الجزائر في نهاية العهد التركي. أشغال المؤتمر الثالث لتاريخ المغرب. وهران. 26-28، 1983.

-الجوسسة الأوروبية في الجزائر خلال العهد العثماني واحتياطات حكام الإيالة لمجابهتها، مجلة الباحث. عدد 3، 1985. [2]

-إرشاد الحيران في أمر الداي شعبان، مجلة الدراسات التاريخية. جامعة الجزائر. عدد .9، 1986.

- -عودة الإسبان لاحتلال وهران سنة 1732، الجزائر، 1988 . [3]

-الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني مجلة » Le Médersien« عدد2، 1993.

- صناعة السفن في الجزائر أيام الأتراك، مجلة الآثار، معهد الآثار، جامعة الجزائر، عدد خاص،1995. [4]

-إحياء المولد النبوي في الجزائر خلال القرن الثامن عشر. [5]

---

[1] حباش فاطمة: إسهامات مولاي بلحميسي في كتابة التاريخ المحلي من خلال قراءة في كتابه تاريخ مازونة، مجلة عصور الجديدة، مج 9، ع3، 2019، ص ص 336.

[2] معلومات استقيناها من مقال لابراهيم سعيود يقول أن المؤرخ مولاي بلحميسي نفسه زوده بها، أنظر، إبراهيم سعيود: الجزائر أو قبلة الدارسين وملتقى العارفين (قراءة في كتابات الأستاذ العلامة في تاريخ الجزائر العثمانية مولاي بلحميسي) :http //www.asjp.cerist.dz/en/downArticle

[3] من المعلوم أن وهران قد تم تحريرها من الاحتلال الإسباني سنة 1708 في عهد الداي محمد بقطاش، ولكن الإسبان تمكنوا من العودة إلى احتلالها سنة 1732، ثم قام حين باشا والباي محمد الكبير بتحريرها بشكل نهائي سنة 1792، لتصبح عاصمة بايلك الغرب. وقد حظي هذا الحدث العظيم بتأليف عدد كبير من الكتابات ونظمت الأشعار احتفالا به.

[4] حظيت صناعة السفن في الجزائر منذ إلحاقها بالدولة العثمانية باهتمام بالغ من طرف الحكام العثمانيين، نظرا لأهميتها وحيويتها، ودورها الاستراتيجي في الحفاظ على قوة الإيالة في مواجهتها للقوى المسيحية التي كانت تتربص بها الدوائر، واستطاعت بفضل العناية بهذه الصناعة الحفاظ على قوة الإيالة، وهيمنتها على البحر المتوسط. ومن جهتها كانت الدولة العثمانية كذلك حريصة على المحافظة على الجزائر قوية من أجل حماية ممتلكاتها في القارة الإفريقية.

[5] أوردت العديد من المصادر الأوروبية معلومات وافرة عن ظاهرة الطقوس الاحتفالية في مجتمع مدينة الجزائر، نذكر منها كتابات المؤرخ الإسباني هايدو (طبوغرافيا والتاريخ العام للجزائر)، والرحالة الأنجليزي طوماس شو(رحلة إلى إيالة الجزائر)، والدبلوماسيين الفرنسيين شوفالييه دارفيو (مذكرات شوفالييه دارفيو)ولوجي دو طاسي (تاريخ مملكة الجزائر)، والرحالين الفرنسيين جون أندري بيسونال (رحلة إلى إيالة الجزائر)، وفونتور دو بارادي(الجزائر خلال

كما ساهم الدكتور مولاي بلحميمي في إثراء مجلة الأصالة بمقالاته وأبحاثه، حيث نشر بها سبعة عشرة مقالا ضمن أربعة عشرة عددا، لأنه نشر أكثر من مقال في بعض الأعداد. وأول مقال نشره بها كان في عددها الثاني الصادر في شهر ماي 1971م واستمر في نشر مقالاته وأبحاثه بها لسبع سنوات، حيث نشر آخر مقال له في العدد 44 الصادر في شهر أفريل 1977م، ثم انقطع عن النشر بها رغم أن المجلة ظلت مستمرة في الصدور لأربع سنوات أخرى[1] .

نلاحظ من خلال المقالات المنشورة سعة أفق المؤرخ مولاي بلحميسي، ومدى اطلاعه الكبير على المصادر، وهذا يدل على حرصه على التعرف على كل جديد فيما يخص التأريخ للجزائر، حيث أنه لم يكن يكتب في موضوع واحد، بل كان يكتب في موضوعات شتى، كما أنه لم يكن يكتف أيضا بالكتابة حول عصر من العصور، فنجده يصول ويجول في مختلف العصور، لكنه يركز في أبحاثه ودراساته على العصر العثماني.

ثالثا: المقالات باللغة الفرنسية:

- Une lettre inédite sur Alger au XVIII ème siècle.
- Relations entre Algériens et Italiens à l'époque Ottomane.
- Relations et description de la ville d'Oran au XVIIIème siècle.
- la Régence d'Alger et Eglise Catholique (1516-1830).
- Le Ramadhan à Alger sous les Turcs.
- Un fils de Guelma, Khoualdji Salah.
- Aid el fitr sous les Turcs.
- Un Rais algérien à Marseille en 1712.
- Un épisode de la résistance Algérienne: l'attaque de Gigel en 1664.[2]
- Tolérances religieuses: l'exemple d'Alger.
- Captifs chrétiens en Algérie: Histoire ou Hystérie?
- Alger et le Caire ou la solidarité séculaire.
- Une tragédie aux portes d'Alger: l'extermination des Aoufias.[3]
- Toscane et Algérie (X - XIXème siècles).

-L'esclavage en Méditerranée à l'époque moderne, (openedition.org) ,(25 juil. 2005)

-Course et contre-course en méditerranée ou comment les algériens tombaient en esclavage, (openedition.org),15 oct. 2004.

اقرن 18) وغيرهم ممن زاروا الجزائر خلال العهد العثماني وسجلوا لنا انطباعاتهم وملاحظاتهم ومشاهداتهم. وقد وفقنا الله إلى ترجمة هذه المصادر إلى اللغة العربية لتمكن قراء هذه اللغة من الاطلاع على هذه الكنوز الثمينة.

[1] فوزية لزغم:عرض وتقديم لمقالات ودراسات مولاي بلحميسي بمجلة الأصالة، أعمال الندوة العلمية الوطنية حول :" الدكتور مولاي بلحميسي: سيرة ومسيرة، https://archive.org/stream/20210225_20210225_2124/

[2] هي الحملة الفرنسية التي أرسلها الملك لويس الرابع عشر بقيادة الدوق دو بوفور Duc de Beaufort ضد مدينة جيجل عام 1664، حيث تمكن الفرنسيون من احتلال هذه المدينة، لكنهم لم ينعموا بالاستقرار بها طويلا حيث تمكن الجزائريون من طردهم بعد حوالي 3 أشهر فقط عن غزوها.

[3] هي مذبحة ارتكبها الجيش الفرنسي ضد قبيلة العوفية عقب الاحتلال، حيث كان يفاخر الجنود حينها بهذه المذبحة.

3–منهجه في الكتابة التاريخية:

تتميز منهجية المؤرخ مولاي بلحميسي بما يلي:

كان مولاي بلحميسي دائما في أبحاثه ودراساته يبحث عن المصادر المحلية العربية والإسلامية، فإن خانه البحث ولم يعثر عليها فإنه حينها تضطره الحاجة إلى الاعتماد على المصادر الأوروبية[1]، مع التنبيه لما تحمله من أفكار مغلوطة، وأخبار مغرضة، وأحكاما مسبقة، دون أن ينكر أهيمتها، وفائدتها العظيمة في الوقت نفسه.

–اعتماده على الأرشيفات وعلى الوثائق غير المعروفة ولم يسبق نشرها، حيث قضى مدة زمنية طويلة في الأرشيفات الأوروبية والعثمانية.[2]

–اعتماده المنهج العلمي الدقيق الرصين، بعيدا على الغلو في العواطف، والانسياق وراء الكتابات المختلفة التي تناولت تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني خاصة، .

–التنوع في المصادر، سواء من حيث المدة الزمنية، أو لغة وجنسية أصحاب هذه المصادر، فنجده دائما يحرص على استيقاء معلوماته من الأصيل من المصادر، من خلال البحث والتنقيب عليها في خزائن الكتب والأرشيفات المختلفة.

–اعتماده على التحليل والمقاربة والمقارنة، لتثبيت الحقائق التاريخية أو تفنيدها وردها، باعتماد الحجة والدليل.

–يدافع المؤرخ عن الطابع الحضاري للجزائر خلال العهد العثماني من خلال الموضوعات المتنوعة التي تناولها بالبحث والدراسة والنشر.

–ساعده إتقانه اللغات الأوروبية على توظيف مختلف الوثائق والدراسات في أعماله، والاطلاع على حيثياتها، حتى يتمكن من الرد عليها، من خلال الاعتماد على الوثائق المحلية العربية والإسلامية.

–ومن من مميزات الكتابة عند مولاي بلحميسي، أنه لا يكتف بعرض وتقديم وعرض الوقائع التاريخية فحسب، بل يقدم تحليلا عميقا لهذه الوقائع ويعرض رأيه، ويُنور القارئ بمعارف ومعلومات ذات الصلة بالموضوع الذي هو بصدد الكتابة حوله، مثلما فعل في استعراضه لأسباب ضعف البحرية الجزائرية في أواخر الحكم العثماني في كتابه البحر والعرب في التاريخ والأدب.

–خوضه الموضوعات الصعبة المنال، والقليلة المصادر وصعوبة الوصول إليها، كما فعل في كتابه عن الأسرى المسلمين في البلاد الأوروبية المسيحية، حيث حاول إماطة اللثام عن هذه الفئة المنسية.

---

[1] فوزية لزغم: المرجع السابق، ص 45 .

[2] بحكم أن الإيالة الجزائرية كانت لها علاقات مع كامل الدول ال أوروبية، فمراكز أرشيفات هذه الدول تحتوي على أرصدة مهمة تخص العلاقات بين الإيالة وهذه الدول.

كان يهدف في أبحاثه ودراساته إلى دحض الأفكار السلبية التي روج لها رواد المدرسة التاريخية الاستعمارية، من الفرنسيين على وجه التحديد، الذين كانوا يستقون معلوماتهم من كتب الرحالين والرهبان الدينيين من دون تمحيص ولا تدقيق أو تحقيق، وأدرك أن هدفهم الوحيد كان لتبرير الاستعمار.[1]

-كان يؤكد من خلال كتاباته أن الصراع الذي كان البحر المتوسط مسرحا له بين إيالة الجزائر من جهة، ومختلف القوى المسيحية من جهة أخرى، هو صراع من أجل البقاء، وهو صراع حضاري صليبي حول الهيمنة على البحر الأبيض المتوسط، حيث حاولت القوى المسيحية بتشجيع من رهبانها وقساوستها إقصاء المسلمين، والقضاء عليهم نهائيا، ليخلو لهم الجو لاستعباد الشعوب الإفريقية. وقد أشار إلى هذا الصراع الذي اتسم بالعنف، ثم تحول إلى ما يشبعه الحرب الباردة في كتابه" l'Europe et la guerre secrète 1518-1830. Alger, "

-ركز المؤرخ مولاي بلحميسي في أبحاثه على النشاط البحري الذي ميز الأحداث في الجزائر خلال العهد العثماني، باعتباره الأكثر استهدافا من قبل الكتاب والمؤرخين الأوروبيين الذين كانوا يصفون الجزائريين بالقراصنة، ووصفوا مدينة الجزائر بعش القراصنة الذي وجب القضاء عليه، ولا شك أن هذه الكتابات التحريضية قد أعدت الشعوب الأوروبية نفسيا إلى تقبل فكرة الاحتلال الفرنسي للجزائر، واعتباره فتحا عظيما، خلصهم من عدو قوي وعنيد، ومن ثمة فقد أقبلوا على المشاركة في الغزو بكل حماسة ونشاط وتعصب ديني لا مثيل له، وهو ما كانت تهدف إليه فرنسا من خلال حملتها الدعائية قبل شروعها في عملية الغزو.

وفي الأخير يمكننا القول إن تبحر مولاي بلحميسي وخبرته في البحث العلمي والكتابة التاريخية الأكاديمية، جعلت الأتراك يعينونه عضوًا فخريًا في معهد تاريخ أتاتورك (الذي تم تسميته بشكل خاطئ، بالمناسبة، بالنظر إلى كراهية مصطفى كامل لتراث أسلافه المسلمين). أما مؤرخو البحر الأبيض المتوسط، فقد عينوه نائب رئيس جمعيتهم الدولية[2] .

يقول عبد القادر بوطالب في مقال لتأبيني للمرحوم مولاي بلحميسي: "كان المعلم والباحث الحاج مولاي محبط من المعاملة (التي يرى أنها غير عادلة ومتحيزة وجزئية) التي تعاملت بها البحرية الجزائرية من قبل الخطاب التاريخي السائد. لذلك، شرع في المهمة وأجرى أبحاثًا في جميع أنحاء العالم."[3]

---

[1] أنظر حديثه عن هذه الأفكار والأحكام المسبقة في مقدمة كتابه -الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني (1979)، ص ص 7-8.

[2] هذه ترجمة لما كتبه عبد القادر بوطالب بمناسبة وفاة المؤرخ في جريدة الوطن في 2007/10/9

[3] لقد عانت البحرية الجزائرية كثيرا من تجني الكتاب والرحالين والمؤرخين الأوروبيين وحتى بعض المؤرخين الأمريكيين أكمقال جون وولف، من تجنيهم عليها من خلال غلوهم في وصفها بالقرصنة، وبقطاع الطرق، لقد جاءهم الرد من مؤلف فرنسي في كتابه تاريخ ملكة الجزائر، وهو الدبلوماسي لوجيد وطاسي الذي أنصف الحبرية الجزائرية، وظاهرة الأسر والعبودية حيث فضح ممارسات الدول الأوروبية اتجاه الأسرى المسلمين، كما فضح ممارساتهم كذلك في أمريكا. لمزيد من التفاصيل أنظر:

-Laugier de Tassy: Histoire du Royaume d'Alger avec l'état présent de son gouvernement, Amsterdam, 1725.

وحول منهج وطريقة الكتابة يقول المؤرخ بلحميسي: "كان لا بد من حل ثلاثة أو أربعة مشاكل قبل كتابة تاريخ غير متحيز. على سبيل المثال، قام المؤرخون الفرنسيون باختيار وثائق متحيزة بشكل واضح، مما جعل الأتراك مسؤولين عن كل ما لم يكن على ما يرام في الجزائر. وكمثال على ذلك، كانت البحرية الجزائرية بالنسبة لهم لعنة من وجهة نظرهم، وكانت البحرية موجودة فقط لسرقة غنائم الغربيين. عندما تجمع كل هذه الإنتاجيات الأوروبية للجزائر في القرنين السادس عشر والسابع عشر، فما الذي نلاحظه؟ أن تاريخ الجزائر كان في الواقع مرتبطًا بتاريخ القرصنة التي عانى فيها الأسرى الأوروبيون من الجحيم في الجزائر، بينما لم يكن هناك أي أثر للأسرى الجزائريين المحتجزين في أوروبا. وبالتالي، كان من الضروري إعادة النظر في هذه الرؤية المجزأة والخاطئة للتاريخ، من خلال الرجوع إلى آلاف المحفوظات في غرفة التجارة في مرسيليا والكي دورساي .Quai d'Orsay وبما أن المؤرخ لا يشبع، فقد أخذت عصا الحجاج لأقوم بجولة في حوض البحر الأبيض المتوسط، بدءًا من مالطا، التي كانت دائمًا خصم الجزائر على المستوى البحري. ثم جاء دور إسبانيا وفرنسا ..في المقال المعنون "الغارة الجزائرية على أيسلندا عام 1627" الذي نشرته كان له صدى واسع واهتمام غير متوقع. كيف ذهب الجزائريون على متن قوارب خشبية على حساب حياتهم، على الرغم من مخاطر بحر الشمال. في النهاية، كانت رحلة سعيدة، لأن البحارة حصلوا على غنائم ثمينة بما في ذلك غنائم بشرية من 400 امرأة تزوجن من الشخصيات البارزة بما في ذلك ملك المغرب. عادت واحدة فقط إلى بلدها، حيث اشتراها ملك الدانمارك. حتى يومنا هذا، هناك احتفال سنوي يحيي هذا الحدث في ريكيافيك. هذا يعني أن ذكرى الغارة لا يزال حيا."[1]

قضى مولاي بلحميسي الذي لا يريد بأي حال من الأحوال إنتاج عمل متحيز، كرد فعل على الكتابات السائدة، أكثر من عقد في جمع ومعالجة وتحليل وثائق تم جمعها في أكبر مراكز الأرشيف المعروفة. وهو فخور أيضًا بمشاركة منهجية عمله حيث يقول:

"لقد اتبعت نهجًا علميًا صارمًا في بحثي، حيث ركزت على المصادر الأولية. لقد راجعت آلاف الوثائق في فرنسا وإسبانيا وتركيا ومالطة وروسيا والولايات المتحدة. لقد بذلت قصارى جهدي لتجنب التحيز في تفسيري للبيانات. لقد سعيت دائمًا إلى تقديم صورة كاملة وعادلة للبحرية الجزائرية."[2]

ويقول الأستاذ مولاي بلحميسي أيضا: "أردت أن أعطي الموضوع وزنًا، لأنني لم أكن أبدًا من محبي الموضوعات المعدة أو المجهزة أو المعالجة من قبل الآخرين. لقد عملت دائمًا على أرشيف فارغ. ولهذا السبب كانت دراساتي حول البحرية تتمثل في تصحيح الأخطاء التي ارتكبها المؤرخون الأوروبيون، وهي أن القراصنة لم يكونوا قطاع طرق، بل جنودًا كانوا يعملون بأوامر الدولة. بالإضافة إلى ذلك، لم تكن المعارك البحرية اختصاصًا جزائريًا، بل ظاهرة عامة تعود إلى العصور القديمة. إذا لم يكن هناك قتال بين المسلمين، فإن الأوروبيين لم يمنعوا

وللإشارة فقد قمنا بترجمة هذا المصدر النفيس إلى العربية وسوف سيصدر قريبا عن دار كوكب العلوم للتوزيع والنشر.

[1] Abdelkader Boutaleb : op, cit, p6.

[2] Abdelkader Boutaleb : op, cit, p6.

أنفسهم من القتال فيما بينهم. أخيرًا، مصدر فخر لي أنني الوحيد الذي تناول مسألة الأسرى المسلمين في أوروبا الذين دافع عنهم الدايات دائمًا، مع حرص دائم على إطلاق سراحهم. لقد كانت مسألة شرف وكرامة."[1]

لقد شق مولاي بلحميسي طريقا خاصا به، واختار منهجا له في دراساته وأبحاثه، واستطاع أن يحقق نجاحا باهرا، حيث أصبحت كتبه مقالاته نبراسا للباحثين، وسندا للدارسين لا يكمن الاستغناء عنها، لا سيما في العهد العثماني عامة، والنشاط البحري والقرصنة والأسر والفداء بصفة خاصة.

خاتمة:

وفي الأخير يمكننا القول أنه مهما حاولنا الإلمام بحياة المؤرخ والباحث مولاي بلحميسي رحمه الله، فلن نوفه حقه، هو الذي كرس حياته للبحث والتعليم والكتابة، ويدل غزارة إنتاجه الفكري والعلمي على علو كعبه، واستطاع بفضل تفانيه وصبره أن يسجل اسمه بين المؤرخين الكبار، وسجل تمايزه في كتاباته، ولعب تكوينه المزدوج دور في تنوع كتاباته باللغتين العربية والفرنسية، وترك رصيدا هائلا للدارسين لا سيما في الفترة العثمانية التي تفتقر كثيرا إلى الدراسات العلمية الأكاديمية الجادة، وأماط اللثام على كثير من القضايا والإشكاليات التاريخية المطروحة على الساحة العلمية والثقافية.

بيبليوغرافيا:

أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر المعاصر،

-تاريخ الجزائر الثقافي،

ناصر الدين سعيدوني ورقات جزائرية،

دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديثة والمعاصرة.

مبارك الميلي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، ط2، الجزائر، 1963م.

الجيلالي، عبد الرحمان: تاريخ الجزائر العام، ج3، ط7، د م ج، الجزائر، 1994.

المدني، أحمد توفيق: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (1492-1792)، ش و ن ت، الجزائر، 1976.

المدني، أحمد توفيق: عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791، م.و.ك، الجزائر، 1986.

المدني، أحمد توفيق: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، 1168-1246هـ، 1754-1830.

محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، 3أجزاء.

بوعزة بوضرساية:من الجهاد البحري في كتابات المؤرخ الجزائري الدكتور مولاي بلحميسي، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، مج 1، عدد 2، جانفي، 2020، ص 76.

حباش فاطمة: إسهامات مولاي بلحميسي في كتابة التاريخ المحلي من خلال قراءة في كتابه تاريخ مازونة، مجلة عصور الجديدة، مج 9، ع3، 2019، ص ص 336.

[1] Abdelkader Boutaleb : op, cit, p7.

إبراهيم سعيود: الجزائر أو قبلة الدارسين وملتقى العارفين (قراءة في كتابات الأستاذ العلامة في تاريخ الجزائر العثمانية مولاي بلحميسي) http: //www.asjp.cerist.dz/en/downArticle

فوزية لزغم، عرض وتقديم لمقالات ودراسات مولاي بلحميسي بمجلة الأصالة، أعمال الندوة العلمية الوطنية حول :" الدكتور مولاي بلحميسي: سيرة ومسيرة، https://archive.org/stream/20210225_20210225_2124/

Moulay Belhamissi: les Captifs algériens et l'Europe chrétienne, ENAL, Alger, 1988, couverture.

Abdelkader Boutaleb : El Hadj Moulay Belhamissi (1930-2009) – الهوقار | Hoggar,11 octobre 2009.

Marine et Marins d'Alger(1518-1830) , T1 les Navires et des Hommes-1830) (1518

Marine et Marins d'Alger, (1518-1830)T2 , Face à l'Europe.

Marine et Marins d'Alger, (1518-1830)T3, Grandeur et Décadence.

Abdelkader Boutaleb: El Hadj Moulay Belhamissi (1930-2009), El Hadj Moulay Belhamissi (1930-2009) – الهوقار | Hoggar. 1/10/2009, p1.

-Laugier de Tassy: Histoire du Royaume d'Alger avec l'état présent de son gouvernement, Amsterdam, 1725.